مركز حمورابي

الردع بدلاً من الصبر: الضربات المتبادلة بين إيران والكيان الصهيوني وأثرها على قواعد الاشتباك في المنطقة

الردع بدلاً من الصبر: الضربات المتبادلة بين إيران والكيان الصهيوني وأثرها على قواعد الاشتباك في المنطقة

م.م حسن فاضل سليم

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

23 نيسان 2024

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

الملخص

تطورت الاحداث بعد عملية طوفان الاقصى حيث بات الكيان الصهيوني يتعرض لضربات من قوى محور المقاومة في مناطق عدة، مما غير حالة التوازن الاستراتيجي في المنطقة بين إيران والكيان الصهيوني، الذي سعى الى جر إيران لصراع اقليمي وهي محاولة كانت تجري منذ وقت طويل بهدف استفزاز إيران والحصول على حجة لمهاجمة برنامجها النووي واستنزاف قدراتها لذلك تحاول هذه المقالة البحث في مسألة الرد الإيراني والرد المتبادل وأثر ذلك على قواعد الاشتباك في المنطقة.

أولا: الصبر الاستراتيجي سياسة إيران تجاه الضربات الصهيونية

تعد سياسة الصبر الاستراتيجي أبرز سياسة أتبعتها إيران حيال الكيان الصهيوني والولايات المتحدة، حيث أظهر الإيرانيون صبراً وانضباطاً عالياً إزاء الهجمات الإسرائيلية التي كانت كثيراً ما تستهدف قادة في الحرس الثوري أو قواعد ومقار عمليات استخبارية أو لوجستية تابعة للحرس الثوري لاسيما في سوريا، فغالبا ما كانت إيران تلتزم بالاحتفاظ بحق الرد دون أن ترد بشكل مباشر أو أنها تقوم بالرد ميدانياً على الكيان الصهيوني بشكل غير مباشر عبر أحد حلفاءها في محور المقاومة.

إن الهدف من سياسة الصبر الاستراتيجي التي انتهجتها إيران كان تجنب الانجرار لصراع إقليمي مع الكيان الصهيوني يحملها اكلاف استراتيجية عالية هي في غنى عنها، خاصة أن إيران كانت تنتهج المسار الدبلوماسي للحفاظ على حقوقها في برنامجها النووي، بالتالي فقادة إيران كانوا يستشعرون أنه في حالة ردهم على الضربات الصهيونية فإن ذلك سيؤدي الى حرب إقليمية يكون فيها المجتمع الدولي بما فيه الولايات المتحدة وأوروبا الى جانب الكيان الصهيوني، مما يؤدي لتضييق الخناق على إيران وربما يدفع دول أوروبا أيضاً والتي تملك علاقات جيدة مع إيران الى قطع تلك العلاقات وفرض عقوبات تضرب الاقتصادي الإيراني وتؤدي لعزلة دولية لا تصب في مصلحة الأمن القومي الإيراني.

لذلك كله كان الصبر وحده خياراً استراتيجياً للجمهورية الإسلامية في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية وهذا الأمر أدى الى حالة اشبه بالتوافق الضمني بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني من جهة وإيران من جهة أخرى على قواعد اشتباك محددة داخل المنطقة.

إذ لا يحاول أي طرف تجاوزها من بينها إلا يقوم الكيان الصهيوني باستهداف الاراضي الإيرانية بشكل مباشر بالمقابل لا تقوم إيران بالرد في الأراضي المحتلة بشكل مباشر في حين يكتفي الكيان الصهيوني باستهداف قيادات داخل المحور الحليف لإيران في سوريا ترد إيران بواسطة حلفائها على الكيان الصهيوني في اقصى الاحتمالات، أو أنها ترد بشكل غير مباشر عبر استهداف المصالح الصهيونية او عبر هجمات سيبرانية وغيرها من أساليب حروب الظل التي كانت تجري اشتباكاتها على قدم وساق بين الطرفين، إلا أن إيران كثيراً ما تركت العديد من الضربات الصهيونية دون رد من المحور أو منها وذلك لأنها كانت تعمل على تحسين موقفها التفاوضي حول برنامجها النووي.

ثانياً: طوفان الأقصى والتحول من الصبر الاستراتيجي الى الردع الاستراتيجي

لقد أدت عملية طوفان الاقصى التي قامت بها حركة حماس ضد المستوطنات الصهيونية وقواعد جيش الاحتلال المحاذية لقطاع غزة الى هزة وصدمة كبيرتين في الداخل الصهيوني دفعت حكومة نتنياهو الى تخطي الكثير من الخطوط الحمراء في تعاملاتها مع الفلسطينيين سواء داخل قطاع غزة أم خارجها، فقد شرع الاحتلال بحملة إبادة ضد سكان القطاع وارتكاب مذابح شاملة ضد الفلسطينيين وقد أثار الرد الصهيوني المفرط على غزة وانتشار أخبار وصور وفيديوهات المجازر التي يرتكبها الاحتلال على وسائل التواصل الاجتماعي ردود أفعال عالمية غاضبة من عدوان الكيان الصهيوني، حيث نشطت حركة مقاطعة البضائع الصهيونية والداعمة للكيان حول العالم مع انتشار المظاهرات والاحتجاجات من قبل شعوب العالم الرافضة للمجازر الصهيونية ضد الفلسطينيين ،مما أدى الى تراجع تأثير الاحتلال إعلامياً وحتى سياسياً على عدد من دول أوروبا والغرب التي بدأ قادتها يضغطون على الكيان الصهيوني بشكل فعلي سياسياً أو عبر التلويح بقطع الدعم العسكري، من أجل وقف العدوان وذلك استجابة لغضب الرأي العام العالمي المناهض للكيان الصهيوني.

وفي خضم هذه التطورات عمل محور المقاومة ضمن استراتيجية وحدة الساحات على توسيع نطاق الاستهداف للكيان الصهيوني والقواعد والمصالح الأمريكية في المنطقة حتى باتت ضربات المحور مؤثرة بشكل كبير على الاحتلال، فقد حاول انصار الله الحوثيين في اليمن قطع طريق البحر الأحمر على الامدادات القادمة الى الاحتلال.

بينما أستهدف حزب الله اللبناني المستوطنات في شمال الأراضي المحتلة وقام بمشاغلة القوات الصهيونية هناك دون قدرة الأخيرة على شن حملة عسكرية على لبنان بسبب عدم وجود قدر كافي من القوات للقتال على جبهتين فيما تمكنت بعض الفصائل العراقية من إيصال صواريخهم لأول مرة الى الكيان المحتل.

وقد سعت الولايات المتحدة وعبر ضغطها على القوى الإقليمية للوساطة مع اطراف المحور وكذلك الضغط على الكيان الصهيوني لمنع تحول الصراع في غزة الى حرب إقليمية، فجل ما تخشاه الولايات المتحدة أن تستخدم إيران ومعها حلفاءها كافة القدرات العسكرية المتوفرة لديهم في مهاجمة الكيان الصهيوني والمصالح الأمريكية وهو ما يؤدي الى إجبار الأثنين على الدخول في حرب شاملة في الشرق الأوسط تشمل حوالي 6 جبهات يمكن أن يستغلها خصوم الولايات المتحدة وهم روسيا والصين لاستنزاف قدرات الجيش الامريكي وتزويد إيران وحلفائها بأسلحة تدمر القوات الأمريكية وتصعب على الولايات المتحدة تحقيق نصر حاسم بمثل هكذا حرب.

بالتالي فقد اتخذت الولايات المتحدة سياسة لاحتواء الأزمة ومحاولة الحفاظ عليها ضمن نطاق الأراضي الفلسطينية، إلا أن الكيان الصهيوني بدأ ينتهج سياسة تهدف الى ضرب القادة المؤثرين في إدارة عمليات المقاومة في المنطقة من بينها اغتيال القيادي الفلسطيني في حركة حماس (صالح العاروري) في لبنان وعدد آخر من قادة حماس، وفق منهج عمليات استخبارية يهدف الى الانتقام من كل قيادات المقاومة وتصفيتهم كما تم تصفية قيادة فتح في سبعينيات القرن الماضي بعد عملية (أولمبياد ميونخ)*، وذلك بعد توصية من الجنرال السابق في الجيش الصهيوني (عساف أوريون) كتبها في مقالة له في مجلة (فورين بوليسي) في أكتوبر من عام 2023.

وقد كانت العملية الأبرز اغتيال قادة من الحرس الثوري الإيراني وعدد من قيادات حزب الله في دمشق بعد قصف القنصلية الإيرانية وهو ما عدته إيران تجاوزا للقواعد يستدعي الرد.

* . عملية أولمبياد ميونخ: هي عملية احتجاز رهائن إسرائيليين حدثت أثناء دورة الأولمبياد الصيفية المقامة في ميونخ في ألمانيا من 5 إلى 6 سبتمبر سنة 1972 نفذتها منظمة أيلول الأسود وكان مطلبهم الإفراج عن 236 معتقلاً في السجون الإسرائيلية معظمهم من العرب بالإضافة إلى كوزو أوكاموتو من الجيش الأحمر الياباني. انتهت العملية بمقتل 11 رياضياً إسرائيلياً و5 من منفذي العملية الفلسطينيين وشرطي وطيار مروحية ألمانيين.

ثالثاً: قصف القنصلية الإيرانية والتحول الى الردع الاستراتيجي

لقد أدى القصف الصهيوني على القنصلية الإيرانية الى تجميد إيران لسياستها الخاصة بالصبر الاستراتيجي واستبدالها بالردع الاستراتيجي فقصف القنصلية وفقاً للأعراف الدبلوماسية يعد قصفاً للأراضي الإيرانية بحكم أن المقرات الدبلوماسية هي أراضي تابعة للدولة صاحبة المقر وذلك طبقاً للاتفاقيات الدبلوماسية الدولية، كما ان اغتيال نائب رئيس اركان الحرس الثوري يعد ضربة كبيرة لإيران يستوجب منها الرد على ذلك.

إلا أن أسلوب الرد الإيراني هذه المرة تميز بنوع من الصبر والتأني قبل القيام بالرد العسكري فقد قامت إيران بشن حملة اعلامية دعائية ونفسية ضد الكيان الصهيوني قبل قيامها بالرد استمرت لمدة أسبوع كامل جرى خلالها إطلاق سيل من التصريحات والتهديدات الإيرانية للكيان الصهيوني والتي تتوعد بزوال الكيان الصهيوني وأنهاء وجوده وأن الرد سوف يكون قاسي وتتوعد بالانتقام والثأر، كل ذلك ترك الخبراء والمحللين سواء داخل الكيان الصهيوني أو خارجه في حيرة من أمرهم حول طبيعة الرد الإيراني وما سيؤديه من خسائر محتملة للكيان الصهيوني لا يمكن التغافل عنها، وذهب بعض الآخر الى أن الرد قد يؤدي الى حرب إقليمية نتيجة لحجم الاستهداف الذي قام به الكيان المحتل تجاه إيران.

بالمقابل كان الكيان الصهيوني وحلفائه من دول المنطقة والولايات المتحدة، قد حركوا أدواتهم الإعلامية في حرب إعلامية مضادة هدفها السخرية من إيران ومن قدراتها ومن تأخرها في الرد على الكيان الصهيوني إلا أن الرد الإيراني تم باستخدام حوالي 185 طائرة مسيرة بالإضافة الى عشرات من الصواريخ البالستية وصواريخ الكروز عدة الاستهداف مقرات الاستخبارات الصهيونية في جبل الشيخ وقاعدة نيفاتيم الجوية، فضلاً عن قاعدة رامون الجوية وعلى الرغم من الحملة الإعلامية التي رافقت الهجوم الآن الى الهجوم لم يسفر عن خسائر بشرية واضحة في الجانب الصهيوني.

إن الهجوم كان يمثل تحولاً في قواعد الاشتباك في المنطقة فأهميته تكمن في الآتي:

1. يعد أول هجوم مباشر ينطلق من الأراضي الإيرانية ويصيب الاراضي المحتلة.
2. لم يستهدف الهجوم مستوطنات الكيان المحتل بل تركز على قواعده العسكرية والاستخبارية من أجل تفويت الفرصة على الكيان الصهيوني لتأليب الرأي العام العالمي ضد إيران بحجة استهداف المدنيين.
3. لقد اثبت الرد أن إيران حينما كانت تستخدم سياسة الصبر الاستراتيجي فأن ذلك لا يعني أنها غير قادرة على الرد في حال تجاوز الخطوط الحمراء ولكي لا يتمادى الكيان الصهيوني باستهدافات أكبر قد تشمل الداخل الإيراني.
4. أظهر الهجوم عجز منظومات الدفاع الجوي الصهيونية وهشاشتها حيث فشلت بالتصدي لجميع الطائرات المسيرة التي سقط البعض منها داخل الاراضي المحتلة بالرغم من استنفار الكيان المحتل وحلفاءه لإمكانياتهم العسكرية لصد هذه المسيرات فضلاً عن الصواريخ التي سقطت جميعها في الأراضي المحتلة وعلى قواعد الاحتلال.
5. استخدم الإيرانيون تكتيكاً عسكرياً ذا هدف نفسي أكثر منه عسكري فقد قاموا بالتمويه على الهجوم الرئيسي الذي قاموا بشنه بالصواريخ البالستية وصواريخ كروز بأن أطلقوا أكبر عدد من الطائرات المسيرة التي تركت الكيان في حالة استنفار وانشغال كامل وانتظار للتصدي لها لكي يغطوا على الهجوم الحقيقي الذي تم بالصواريخ والتي كانت هي الأسلحة الرئيسية المستخدمة في الهجوم، كما أن المسؤولين الإيرانيين صرحوا عن إمكانية وصول الطائرات المسيرة الى الكيان خلال 9 ساعات مما أبقى الكيان المحتل في حالة استنفار وترقب وانتظار لمدة طويلة من أجل وصول هذه المسيرات الأمر الذي حقق ضربة معنوية كبيرة للكيان المحتل ولا سيما لجبهته الداخلية.
6. إن الحرب النفسية التي شنها الإيرانيون بنجاح كما أشار لذلك اللواء (يحيى رحيم صفوي) كبير مستشاري المرشد الأعلى في إيران كانت مؤثرة بشكل فعال، حيث تم خلال اسبوع كامل أو أكثر بعد استهداف القنصلية استخدام وسائل الدعاية الإيرانية للحرب النفسية على الكيان الصهيوني والتي تركت كبار صناع القرار فيه في حالة من الحيرة والترقب لما يمكن أن تقوم به إيران من ضربة عسكرية، وفي أدبيات الاستراتيجية الإيرانية يرى صناع القرار الإيرانيون أن زوال الكيان الصهيوني يتم بأدوات حرب نفسية أكثر من الأدوات العسكرية.

6. فما يؤدي الى زواله هو دفع المستوطنين الصهاينة للفرار من الأراضي المحتلة عبر تدمير معنويات الجبهة الداخلية الصهيونية، وترسيخ حالة الشعور بعدم الأمان داخل هذه الأراضي، مما يدفعهم الى مغادرة الأراضي المحتلة و يؤدي الى إفراغ الكيان من مستوطنيه وانتفاء أهم ركن من أركان الدولة وهو الشعب لدى الكيان المحتل

7. إن الرد الإيراني تم بالتزامن مع ضربات شنتها قوى محور المقاومة سبقت الهجوم الإيراني، فقد شن حزب الله هجوماً صاروخياً كبيراً على القواعد الصهيونية في الجولان وفي شمال الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما أطلقت اليمن صواريخ ضد الكيان المحتل أدت الى مشاغلة الدفاعات الجوية الصهيونية واستنزفتها قبل وصول الهجوم الرئيسي من إيران، وقد كان ذلك أيضاً يمثل تجربة عملية لطبيعة الرد الإيراني واختبار لكيفية التعاون بين قوى محور المقاومة وإيران في هجوم عسكري متزامن على الكيان الصهيوني.

8. لقد استفادت إيران من الهجوم الذي شنته على الكيان الصهيوني من خلال أنها تمكنت من اختبار قدراته العسكرية، وكذلك اكتشاف مكان الخلل الموجودة في الدفاعات الجوية الصهيونية، فضلاً عن مكامن الخلل الموجودة في الأسلحة الإيرانية، والتي أدت مثلاً الى اسقاط أغلب الطائرات المسيرة التي اطلقتها، فضلاً عن ذلك كان الهجوم أختباراً حقيقياً لآليات التنسيق بين إيران ومحور المقاومة وجدوى عمليات التنسيق والقصف والهجوم المتزامن، فيمكن لإيران أن تستنبط الدروس من هذه العملية العسكرية التي قد تمكنها من البناء عليها في أي مواجهة مستقبلية محتملة مع الكيان الصهيوني، حيث يمكن لها أن تعزز عملية التنسيق والتعاون مع محور المقاومة وتتفادى مكامن الخلل التي اكتشفتها من خلال هذا الهجوم في حال أرادت شن هجوم شامل على الكيان الصهيوني في وقت واحد.

رابعاً: الرد الصهيوني على الضربات الإيرانية

تعرض كل من العراق وإيران وسوريا الى انفجارات وهجمات ناجمة عن ضربة صهيونية تصدت لها الدفاعات الأرضية الإيرانية، فقد تصدت للطائرات المسيرة التي أطلقت على أصفهان، كما سقطت عدد من الصواريخ في سوريا والعراق ويرجح المسؤولون إيرانيون أن الهجوم الذي استهدف أصفهان تم بطائرات مسيرة من نوع تجاري ذات مديات قريبة يحتمل أنها أطلقت من الاراضي الإيرانية عبر عملاء للمخابرات الأجنبية أو من أراضي دولة مجاورة لإيران بواسطة افراد وعناصر تابعين لأجهزه مخابرات أجنبية

وقد أطلقت صواريخ من نوع بوباي أرض-أرض إسرائيلية الصنع، إلا أنها لم تصل الى الاراضي الإيرانية في حين يرجح مراقبون أنها قد تكون تم التشويش عليها بواسطة أسلحة الحرب الإلكترونية وتم اسقاطها عبر هذا التشويش وقد عثر على أحد هذه الصواريخ في العراق في منطقة اللطيفية جنوبي بغداد.

وفي اليوم التالي للهجوم على إيران تم استهداف مقر مديرية الدروع التابعة للحشد الشعبي في منطقة جرف النصر، مما أدى الى استشهاد عدد من افراد الحشد الشعبي وجرح آخرين، وهذا الاستهداف أنما يندرج ضمن سياسة الرد الصهيونية تجاه إيران وحلفاءها في المنطقة، حيث يعتقد صناع القرار في واشنطن وحلفاءهم أن إيران تقوم باستخدام بعض المناطق في العراق لإطلاق الصواريخ على الكيان الصهيوني، ولاسيما منطقة جرف النصر التي ركزت التقارير والدراسات الامريكية على أهمية استهدافها، والتي تم استهدافها أكثر من مرة بواسطة الطيران الأمريكي، وقد سبق العملية طيران مكثف للطائرات المسيرة، وهو ما يدل على رصد وتدبير مسبق للهجوم، وهو هجوم يشير الى أن قواعد الاشتباك تغيرت بين إيران وحلفاءها من جهة وبين الكيان الصهيوني من جهة أخرى حيث انتقلت من ضربات محدودة تستهدف حلفاء إيران في سوريا من قبل الكيان الصهيوني الى ضربات محدودة التأثير تستهدف الداخل الإيراني وضربات أكثر شدة تستهدف حلفاء إيران في العراق بالإضافة الى سوريا، وهو ما يدل على رفع حدة الاستهداف من قبل الجانب الصهيوني بعدما رفعت إيران حدة الاستهداف بضربها الداخل الصهيوني بشكل مباشر، ومن المتوقع أن لا يعلن الكيان الصهيوني مسؤوليته عن استهداف مقر الحشد الشعبي ، وذلك تجنباً لمزيد من التصعيد، لكن الأدلة تبقى تؤكد أنه هو الفاعل لاسيما مع نفي الجانب الأمريكي استهدافه لقاعدة الحشد الشعبي هذه المرة.

الخاتمة

بناءً على ما تقدم نستنتج أن الهجوم الصهيوني على إيران والذي جاء رداً على الضربة الإيرانية تم بشكل محدود تجنباً لتطور الصراع الى صراع إقليمي لاسيما بعدما أكد الإيرانيون قدرتهم على الرد والردع للكيان الصهيوني فضلاً عن الضغوط الامريكية المتواصلة على حكومة نتنياهو لتجنب التصعيد، بينما كان رد الكيان الصهيوني على محور المقاومة أكثر حدة بعدما تم استهداف مقر للحشد الشعبي في بابل، بالتالي كان الرد الصهيوني محدوداً على الأراضي الإيرانية وأكثر حدة على حلفاء إيران وهو ما يدل على تبلور حدود جديدة للاشتباك بين الطرفين يكون فيها مستوى الرد أكثر حدة على الحلفاء ومحدوداً على الأطراف الرئيسية وهي حدود اشتباك مرجحة للتغير بشكل متصاعد في حال قيام الكيان الصهيوني بضربات جديدة تستهدف إيران بشكل مباشر، والتي يمكن أن ترد بشكل أقوى يغير مجدداً من قواعد الاشتباك بين الطرفين.

إن الكيان الصهيوني من المرجح بعد قيامه من الاستهدافات الأخيرة ان يكتفي من الرد ويعود للتفرغ لإكمال عملياته العسكرية في قطاع غزة، وأفضل مصداق على ذلك هو تصريح قادة الكيان في اجتماعهم الأسبوع الماضي حول سبل الرد على إيران الذي اكدوا فيه على انهم سيقومون بشن ضربة انتقامية ضد إيران دون ان تؤدي الى حرب، وهو ما يعني أيضاً نجاح إيران في تغيير قواعد الاشتباك في المنطقة والحفاظ على توازن ردع مع الكيان الصهيوني أجبره على التفكير كثيراً قبل القيام بأي عمل عسكري واسع النطاق ضد إيران يستهدف أراضيها بشكل مباشر أو مصالحها الحيوية القومية.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،18-11-2006 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية